(٤١)

صدق نبوءة القرآن

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الروم الآيات من ١ – ٦].

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة البقرة الآيات من ١٤ – ١٦].

* * *

«فـى أعقـاب بـدر وأنسـام النصـر تحوط بالمسـلمين.. النبـى - ﷺ - فـى صحابته من المهاجريـن والأنصـار.. يطير إليهـم رجل جاء يسـعى تغمره الغبطة وتلوح على محياه بشارة.. يـزف أنباء انتصار الـروم - وهم أهل كتاب - على فارس المجوسية..».

الرجل : أبشر يا رسول الله، قد انتصرت الروم على فارس.

المسلمون : (يكبرون) الله أكبر، الله أكبر..

«النبى عليه السلام يرقب المسـلمين وقد اجتاحهم السرور بنصر أهل الكتاب على المجوس.. حوله المهاجـرون يتذاكرون أيام مكة حين أتت الأنباء تحمل أن مجوس الفرس انتصروا على الروم وهم أهل كتاب فشـق عليهم الأمر، وشمت المشركون يقولون للمسـلمين: «أليس الـروم بأهل كتاب؟! ها هم قـد غلبهم مجـوس الفرس؟!.. ألسـتم تزعمـون أنكم غالبون بالكتـاب الذى نزل على نبيكـم؟!!».. وإن المهاجرين ليذكرون يوم خرج الرسـول عليه السلام يتلو عليهم ما تنزل به الوحى..

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾

[سورة الروم الآيات من ١ – ٦].. ها هو الزمان قد دار دورته، وها هو ما تنزل به القرآن من سنين قد تحقق وصار أمامهم حقيقة مجسدة.. ينظر إليهم الرسول وعيون الجميع قريرة بآيات الله وبما أفاء به سبحانه عليهم من نصر بدر».

* * *

«حصن من حصون اليهود بالمدينة وقد تسربت إليهم أنباء نصر المسلمين، والصناديد الذين خسرتهم قريش ببدر.. كعب بن الأشرف على رأس اجتماع لكبار يهود.. رجل من طيئ، وأمه من بني النضير.. معدود منهم!!.. داهية كأمه، ومن أغنى أغنيائهم – مع أنه كان قبل مقدم الرسول يتوعد أهل يثرب بقرب ظهور نبي جديد، فإنه انقلب حين شاهد التفاف الناس حول الرسول بالمدينة وإيمانهم به!.. أضمر الغل والحقد، وانقلب يتقول عليه وعلى المسلمين سرًا، ويشبب بنسائهم وبناتهم.. يطلق في ذلك الأشعار، ولا يكف عن النكاية والكيد.. يجلس إلى زعماء يهود وفيهم حيي بن أخطب.. وقد استشرت الأنباء منذ أتى بها إلى المدينة زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.. يغلبه غله، ولا يطيق صبرًا.. يريد أن يبث شكوكه فيما يتسامعه الناس..».

كعب بن الأشرف : (مشككًا بغل) أحق هذا؟!.. أترون محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمى الرجلان وهم من أشراف العرب وملوك الناس؟!

حيى بن أخطب : (مغالبًا حقده) تحدث بذلك آخرون.. هناك طامة قد ألمت.. ولكن لعلهما يبالغان فى كثرة خسائر قريش!!

كعب : (حسيرًا قانطًا) والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لنا من ظاهرها!!

حيى : فما ترى؟!

كعب : والله لقد حم قضاء، وما أرى إلا أن يخرج بعضنا إلى مكة لنلقى قريشًا لنرى معها ما يكون.. لن يرتاح لى جنب حتى أخرج إلى مكة..!

«يوافقون وقد غلبتهم الحسرات»!!

* * *

«كعب بن الأشرف بداره.. يتهيأ ويتجهز للخروج إلى مكة للقاء قريش.. يفكر ويدبر كيف يحضهم ويستثيرهم.. ليس كالشعر فى تأليب العواطف.. يركبه شيطانه فيرصف لهم شعرًا يبغى إثارة أشجانهم به..».

كعب بن الأشرف : (ينشد لنفسه فى غل)

طَحَنَتْ رَحَا بدرٍ لِمُهْلَكِ أهلها ... ولِمْثل بدرٍ تَستهِلُّ وتَدْمعُ

قُتلَتْ سراةُ الناس حول حياضهم ... لاَ تبعدوا إن الملوك تُصرَّعُ

كم قد أُصيبَ به من أبيض ماجدٍ ... ذى بهجة تأوى إليه الضُّبعُ

ويقول أقوام أسرُّ بِسُخْطهم ... إن ابن الأشرف ظَلَّ كعبا يجزعُ

صدقوا فليت الأرض ساعة قُتِلوا ... ظَلَّت تسَوخُ بأهلها وتصدّعُ

«يمضـــى كعب يغمغم لنفســـه بأبياته، يجمع زاده ويهيـــئ راحلته لينطلـــق إلى مكة ليدبر مع قريش الشر الذى أراد!!».

* * *

«مكة.. قريش لا تهدأ ولا تســـتريح.. يتصاعد أوار الغضب وتشتعل نار الثأر.. يقسم أبو سفيان لســـادة قريش أنـــه قد حرم على نفســـه الدهن، ونـــذر ألا يمس رأســـه ماء من جنابـــة حتى يثأر من الرســـول عليه الســـلام وأصحابه بمن أصيب من المشـــركين فى بدر.. يحلـــف لقريش أنه قد حرم على نفسه النساء والطيب حتى يروى ظمأه بثـــأر عظيم على ابنه حنظلـــة وباقى من فقدوهم مـــن قريش – زوجه هند، النـــار فى قلبها أقوى وأشـــد.. فى بدر فقدت ابنها حنظلة وأباها عتبة وشقيقها الوليد بن عتبة وعمها شيبة..».

«دار أبى سفيان.. هند بنت عتبة ومعها بعض صويحباتها من قريش..».

النسوة : (لهند) ألا تبكين ؟! لعل ذلك أن يذهب بعض ما بك من حزن على ابنك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟!

هند بنت عتبة : (مستنكفة) أنا أبكيهم فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بنا ويشـــمت بنا نســـاء الخزرج؟.. لا والله حتى أثأر من محمد وأصحابه!

بعض النسوة : قد يطول الأمر!

هند : الدهــن علــىّ حرام حتى نغزو محمــدًا! والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبى لبكيت، ولكن لا يذهب إلا أن أرى ثأرى بعينى من قتلة الأحبة!!!

* * *

«فــى حجر الكعبــة بمكة.. عُمَــيْر بن وَهْب الجُمحــى أحد شــياطين قريــش، ضاغن لابنه وهيب الأســير بالمدينة، ومعه صفــوان بن أمية المكلوم فى أبيه وأخيــه - يتناجيان.. يتبادلان الشــكاية والأشــجان مما حاق بقريش وبهما فى بــدر!! يتذاكــران أصحاب القليــب ومصابهم ومصاب قريش فيهم!!».

صفوان بن أمية : والله ما فى العيش بعدهم خير!!

عمير بن وهب : صدقت والله، أما والله لولا دين علىّ ليس له عندى قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله.. فإن لى قبلهم علّة.. ابنى أسير فى أيديهم!

صفوان : (منتهزًا الفرصة) علىّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم..

عمير : (موافقًا) فاكتم علىّ شأنك وشأنى..

صفوان : أفعل!

* * *

«عمير بن وهب، يتجهز، ويشحذ سيفه ويلوثه بالسم.. ما يكاد يتهيأ حتى يخرج إلى المدينة زاعمًا للنــاس أن مقصده فداء ابنه وهيب.. ولا شــىء سواه!».

«المدينة.. المسجد النبوى، عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحادثون ويتذاكرون ما كان فى يوم بدر وأكرمهم الله تعالى به.. يلتفت عمر فيلمح عمير بن وهيب ينيخ بعيره على باب المسجد، ويدخل متوشحًا بسيفه..».

عمر بن الخطاب : (لأصحابه) هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر!.. هو الذى حرش (أفسد) بيننا، وحزرنا (قدر عددنا) للقوم يوم بدر.. ما جاء إلا لشر!

«يبادر عمر إلى النبى عليه السلام، يدخل إليه فى بيته محذرًا..».

عمر : (للنبى) يا نبى الله، هذا عدو الله عُمير بن وهب جاء متوشحًا سيفه!

النبى : (فى سكينة) فأدخله علىّ..

«يخرج عمر، يأخذ بحمالة سيفه فى عنقه ويلببه بها (يمسك بخناقه).. يلتفت عمر إلى رجال من الأنصار..».

عمر : (للأنصار) ادخلوا على رسول الله، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

«يقتاده عمر وقد سبقه الأنصار إلى مجلس النبى عليه السلام.. يلحظ النبى أن عمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه..».

النبى : (لعمر) أرسله يا عمر.. (يلتفت لعمير) ادن يا عمير..

عمير : (وقد دنا من النبى) أنعموا صباحًا..

النبى : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عُمير – بالسلام تحية أهل الجنة..

عمير : أما والله يا محمد إن كنت لها لحديث عهد.

النبى : فما جاء بك يا عمير؟!

عمير : جئت لهذا الأسير فى أيديكم فأحسنوا فيه.

النبى : فما بال السيف فى عنقك؟!

عمير : قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنَّا شيئًا!

النبى : أصدقنى. ما الذى جئت له؟

عمير : ما جئت إلا لذلك..

النبى : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحِجْر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علىّ وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك!

«عمير بن وهب ينتابه روع شديد.. لا يتمالك نفسه من المفاجأة.. لا يستطيع حجب ما نزل عليه كالصاعقة.. يتمالك نفسه شيئًا فشيئًا.. تتغشاه أقباس الهداية بما رآه.. ينطلق قلبه ولسانه..».

عمير : أشهد أنك رسول الله.. (يلتقط أنفاسه) قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله.. فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق.. أشهد ألاّ إله إلا الله وأنك رسول الله..

النبى : (لأصحابه) فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا أسيره..

«ينطلق بعضهم فيطلق وهيب بن عمير..»

عمير : يا رسول الله، إنى كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دينه وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله تعالى ورسوله وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم..

«النبى ﷺ يأذن له فينطلق بابنه إلى مكة..»

* * *

«بظاهر الكعبة بمكة.. صفوان بن أمية فى نفر من قريش ينتظر كدأبه من أيام وصول عمير.. يسأل عنه الركبان، مبشرًا أترابه ببشرى ستأتيهم تنسيهم ما وقع ببدر.. وهم بمجلسهم يهل عليهم عمير بن وهب ومعه وهيب..».

صفوان : (ينهض إليه فرحًا مرحبًا) ما خبرك يا عمير؟!

عمير : أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. والله إن الرجل لصادق.. آمنت به وصدقته..

صفوان : (غاضبًا يائسًا) واللات والعزى لا أكلمك أبدًا ما حييت..

«ينصرف صفوان غاضبًا محنقًا بادى اليأس والقنوط!».

* * *

«الحبشة.. النجاشى جالس على التراب ببيته وعليه ثياب خلقة.. وقد وصلته أنباء انتصار المسلمين على المشركين ببدر.. يدخل عليه من أرسل فى طلبهم ممن بقى لديه من المهاجرين إلى الحبشة..».

النجاشى : (مبادرًا فى سرور) أبشروا.. إنى أبشركم بما يسركم، إنى قد جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسِرَ منهم خلق كثير بواد يقال له بدر كثير الأراك.. كأنى أنظر إليه..

جعفر بن أبى طالب : ما بالك جالسًا على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاط؟!

النجاشى : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى: أن حقًا على عباد الله أن يحدثوا الله تواضعًا عندما يحدث لهم من نعمة.

* * *

«النبى - ﷺ - فى صحابته بالمسجد النبوى.. ينظر بعين رحمته إلى من بقى من الأسارى غير قادر على الفداء.. قد سبق وأطلق أبو عزة عمرو ابن عبد الله صاحب العيال بغير فداء، وقبل غلمان المدينة القراءة والكتابة بديلاً عن الفداء.. ترى ماذا يفعل مع من لا يجد هذه ولا يقدر على تلك.. يأبى الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام أن يستبقيهم فيمُنُّ عليهم بغير فداء.. يلحق بمن مَنّ عليهم سالفًا: المطلب بن حنطب ابن الحارث، وصَيْفى بن أبى رفاعة بن عائذ، من بنى مخزوم.. ما ترك عليه السلام أحدًا غير قادر إلا منّ عليه وأخلاه بغير فداء!».

* * *

«يوم الجمعة، والنبى عليه الصلاة والسلام فى أصحابه والمسلمين بالصُّفة بجوار المسجد النبوى،

حيث يعيش من لا بيت له بالمدينة، أو من بهم حاجة.. يجيء بعض أهل بدر الذين أبلوا أعظم البلاء فيجدون أنهم قد سُبقُوا إلى المجالس، فوقفوا حيال رسول الله عليه السلام..».

البدريون : (للنبى) السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته.. (للمسلمين) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

«يلاحظ النبى عليه السلام أن المسلمين لم يفسحوا لهم ليجلسوا.. يشق عليه ما يراه، فجعل ينادى واحدًا ثم آخر فآخر ليفسحوا لإخوتهم البدريين، بيد أن النبى عليه السلام لا يفوته أن من ناداهم كرهوا ذلك، وبدا هذا فى وجوههم.. وغمز على ذلك بعض المنافقين..».

«فى المساء، النبى عليه الصلاة والسلام فى خلوته وتعبده وتهجده، آسف لما بدا من بعض المسلمين من ضيق بعضهم ببعض. وعدم إنزال السابقين من المجاهدين فى بدر منازلهم من الأخوة والمحبة الصادقة.. يوافيه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [سورة المجادلة الآية ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى عليه الصلاة والسلام يعانى والمسلمون من مداهنات وأكاذيب المنافقين.. يأتى الرجل منهم فيسأل الرحمة المهداة عليه السلام ويجالسه ويبدى الرضا والقبول، حتى إذا خلا لأمثاله، سخروا واستهزءوا واغتابوا النبى عليه السلام وسبوه..».

«النبى عليه السلام، يعرف ما يطويه هؤلاء.. ويعرف ما يفعله عبد الله بن أبى بن سلول، وعبد الله بن نبتل.. أتاه عليه السلام الخبر بأن ابن نبتل ما إن يغادر مجلسه، حتى يرفع ما جرى من حديث إلى اليهود!».

«النبى عليه السلام فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين، قد كان الظل يتقلص عنهم.. فيقول عليه السلام لهم سيأتيكم الآن إنسان ينظر إليكم بعين شيطان.. يدخل عبد الله بن نبتل، فيبادره رسول الله..».

النبى : (لعبد الله بن نبتل) علام تشتمنى أنت وأصحابك؟!

«عبد الله بن نبتل ينكر، فيواجهه عليه الصلاة والسلام بأسماء رفاقه من المنافقين الشتامين، يصمم ويحلف على الإنكار.. ينطلق ابن نبتل فيأتى بأصحابه، فيحلفون كما حلف على الإنكار، وجعلوا يعتذرون إلى الرسول..».

* * *

«النبى عليه السلام فى خلوته وتحنثه، وابتهاله إلى ربه، يوافيه الروح الأمين فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة المجادلة الآيات من ١٤ - ١٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة.. اليهود يتفننون فى النفاق مضمرين ما تجيش به نفوسهم من ضغن وغل.. حى من أحياء المدينة، عبد الله بن أبى فى بعض أصحابه، يلمحون على البعد نفرًا من أصحاب الرسول - ﷺ - مستقبلين لهم.. يهمس عبد الله ابن أبى لأصحابه مداهنًا..».

عبد الله بن أبى : (لأصحابه) انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء!

«يتقدم عبد الله بن أبى، مظهرًا الترحاب والسرور، يبادر فيأخذ بيد أبى بكر الصديق..».

عبد الله بن أبى : (لأبى بكر مداهنًا) مرحبًا بالصديق سيد بنى تميم، وشيخ الإسلام، وثانى رسول الله فى الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله.

«ما يكاد عبد الله بن أبى يفرغ من عبارته لأبى بكـــر، حتى يأخذ بيد عمر بن الخطاب..».

عبد الله بن أبى : (لعمر مداهنًا) مرحبًا بسيد بنى عدى بن كعب، الفاروق، القوى فى دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله.. (يلتفت إلى علىّ بن أبى طالب، يمسك يده).. مرحبًا بابن عم رسول الله، سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله.

* * *

«عبد الله بن أبى بين أصحابـه من اليهود بعد أن غاب صحابة الرســول عــن الأنظار.. يلتفت إليهم لا يغالب غلـه ونفاقـه وضغنـه!..».

عبد الله بن أبى : (لأصحابه من اليهود) كيف رأيتمونى فعلت؟!

أحدهم : أحسنت صنعًا..

عبد الله : (ناصحًا فى غل) فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت.

«يقهقهون فى سرور لا يخفى حقدهم..!».

* * *

«المســجد النبوى، الصحابة يلحقون بالرسول عليه السلام.. ينهون إليه ألاعيب ومداهنات ابن أبى.. لا تنطلـى عليهم حيله، يعرفون من ضغنه وكيده أكثر مما يتصور!».

«النبــى - ﷺ - فى خلوتــه يتعبد ويتهجد ويناجى ربه.. يتنزل عليه الروح الأمين...»

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة البقرة الآيات من ١٤ - ٢٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة أواخر رمضان سنة ٢هـ.. يجرى المسلمون فى بدايات فرض الصيام على أنه إذا دخل وقت الإفطار، حل لهم الطعام والشراب والزوجات إلى أن يصلوا العشاء أو يناموا، فإذا صلى أحدهم العشاء أو نام حرم عليه ما كان حلاً له من طعام وشراب ومباشرة إلى الليلة القابلة.. إذا حضر الإفطار ففات أحدهم أن يفطر ونام دون إفطار، لا يأكل ليلته ويصوم يومه التالى حتى يمسى.. يجد المسلمون فى ذلك مشقة بالغة، وحرجًا لا طاقة لهم باحتماله.. يقع بعضهم فى مخالفات للفهم الذى جروا عليه..».

«قيس بن صرمة الأنصارى يعمل طوال النهار صائمًا فى نخيل له، يؤوب إلى داره ساعة الإفطار فلا يجد لدى امرأته ما يفطر عليه.. تستمهله لتجىء له بطعام.. من الإجهاد يغلبه النعاس.. يسقط فى يد زوجته وقد عادت فوجدته قد نام دون أن يفطر.. يواصل صيامه إلى اليوم التالى، يشق الصيام عليه.. يغشى عليه عند منتصف النهار من الجوع والظمأ والمشقة..».

«يجد المسلمون صعوبة فى تلمس الخيط الأبيض من الخيط الأسود فلم يكن قد تنزل بعد «من الفجر».. تختلف أفهام واجتهادات المسلمين..».

«النبى - ﷺ - فى تعبده وتهجده ومناجاته ربه يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة البقرة الآية ١٨٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«رسول الله ﷺ بمسجده بالمدينة، بين صحابته من المهاجرين والأنصار.. تنفذ إليه سيدة هرمة هى أم حارثة بن سراقة الذى أصابه سهم فاستشهد فى بدايات بدر.. يأمر ﷺ المسلمين أن يخلوا لها الطريق..».

أم حارثة : يا رسول الله، أخبرنى عن حارثة.. فإن كان فى الجنة صبرت، وإلا فليرين الله ما أصنع من النياح عليه!!

النبى : (مترفقًا) ويحك أهَبِلْت، إنها جنان ثمان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى!

«يتغشاها البشر والرضا، فتغادر قريرة العين مشمولة بحدب الرسول وعطف المسلمين..».

* * *

«لا يهدأ الشر حول المدينة، ولا يرعوى.. لا يصده ولا يوقفه بل يذكيه نصر المسلمين الباهر ببدر.. لم يعد الأمر فقط أمر دين ينتشر، وإنما صار أيضا سياسة وسيادة رأى الطغاة أنها تهدد مكانتهم ونفوذهم!!.. تترى الأنباء إلى المدينة بأن بنى سُلَيم قد حشدوا جمعًا للرسول والمسلمين.. لم تمض إلا أيام على بدر، بيد أن المسلمين لا يحبون أن يُهاجموا بالمدينة.. يزمعون أمرهم ويخرج الرسول بهم ﷺ.. يبلغون بعض مواضع مياه بنى سليم.. فلا يجدون أحدًا.. يأتى الخبر بأنهم خشوا فانصرفوا لتدبير أحكم وأقوى.. المسلمون يقيمون ثلاثًا ثم يكرون عائدين إلى

المدينة.. لم يلاقوا جمعًا ولا أحدًا ولا كيدًا.. ولكن يتسامع الناس بأن اليوم لم يعد كالبارحة..».

* * *

«وقد مضى قرابة شهر منذ إطلاق أبى العاص ابن الربيع من أسره.. النبى - ﷺ - يدعو إليه زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فيسر إليهما بما اتفق عليه مع أبى العاص أن يخلّى سبيل زينب ويردها لتلحق بهم بدار الهجرة.. يعهد إليهما بترقب خروج زينب من مكة وحراستها والقيام على أمرها حتى تتم هجرتها بسلام..».

النبى : كونا ببطن يأجج (اسم مكانين على ثمانية أميال من مكة) حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيانى بها..

زيد والأنصارى : نفعل إن شاء الله..

«ينصرفان..»

* * *

«مكة.. زينب بدارها تتجهز للرحيل وقد أوفى أبو العاص بوعده وخلّى بينها وبين اللحاق بأبيها فى دار الهجرة.. تصادفها فى أحد أزقة مكة هند بنت عتبة بن أبى ربيعة.. تقطع على زينب الطريق..».

هند بنت عتبة : (فى تودد مصطنع) يا بنت محمد، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك؟

زينب : ما أردت ذلك!

هند : (مخادعـةً) أى ابنة عمى، لا تفعلى إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفُقُ بك فى سفرك أو بمال تتبلّغين به إلى أبيك.. فإن عندى حاجتك فلا تصطنى (لا تسـتحى) منى، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال.

«تتأثـر زينـب بحديثهـا، ولكنهـا بغريزتها تخافهـا!! فلا تفصح لها عما أزمعته من رحيل..».

* * *

«دار زينب بمكة وقد فرغت من تجهيز نفسها للرحيـل.. يأتيها كنانـة بن الربيع أخو زوجها أبى العاص ببعير فركبته، وأخذ ابن الربيع قوسه وكنانته وخرج بها يقـود الهودج قاصدين طريق مكة/ المدينة.. يتسـامع القرشـيون بخروجها، يندفع بعضهم مسرعين فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى..».

«أول من يلحق بالهودج هَبَّار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسـد بن عبد العزى الفهرى. - جلف غليظ الخلق، يشرع رمحه فيروع زينب فى هودجها.. يأخذها الروع ويصيبها الأذى فى حملها.. يتصدى لهم كنانة بن الربيع، فينثر كنانته..».

كنانة بن الربيع : (للقرشيين متوعدًا) والله لا يدنو منا رجل إلا وضعت فيه سهمًا..

«يتقهقر القرشـيون خوفًا من سهامه.. يلحق بهم أبو سفيان فى جلة من قريش..».

أبو سفيان : (لكنانة) أيها الرجل، كف عنا نبالك حتى نكلمك..

«يضع ابن الربيع كنانته.. يقبل عليه أبو سفيان..».

أبو سفيان : (متصنعًا) إنك لم تصب..

كنانة : فيم لم أصب؟!

أبو سفيان : خرجت بالمرأة نهارًا على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن القوم أنه إذا خرجت إليه ابنته علانية على رؤوس الأشهاد كان ذلك ذلاً لهم يصيبهم على مصيبتهم التى كانت.. وأن ذلك منا ضعف!!

لعمرى ما لنا فى حبسها عن أبيها حاجة، وما لنا من ذلك ثؤرة (طلب ثأر).. ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فخذها سرًا وألحقها بأبيها..».

* * *

«بعد أيام قضتها زينب فى مكة.. فقدت حملها من جراء ما وقع لها.. يخرج بها كنانة تحت جنح الليل، يقود هودجها حتى يصلا إلى بطن يأجج.. يلقيان زيد بن حارثة وصاحبه الأنصارى فى انتظارها، يعهد إليهما كنانة بالأمانة فينطلقان بمهجة المصطفى - ﷺ - إلى حيث ينتظر ابنته الكبرى بالمدينة..».